

مدينة مرعش

ودورها في الصراع الاسلامي الصليبي

(١١٠٤-١١٧٢ م / ٤٩٧-٥٦٨ هـ)

اعداد

د . ابراهيم حميس ابراهيم

مدرس تاريخ العصور الوسطى
بكلية الآداب-جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حظيت دراسة تاريخ المدن الإسلامية في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي ، والذي عرف اصطلاحاً باسم «الحركة الصليبية» ، حظيت باهتمام كبير من الباحثين في السنوات القلائل الماضية ، ونمشت مع هذا الاتجاه وقع اختيارنا لموضوع هذا البحث المتنون «مدينة مرعش ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي (١١٠٤ - ١١٧٢ / ٥٩٧ - ٥٦٨ هـ)» ، نظراً لأهمية موقع تلك المدينة في شمال الشام وعلى أطراف آسيا الصغرى ، ولهذا تصارع على السيطرة عليها إبان الفترة الزمنية موضوع البحث حکام عدة يمثلون قوى مختلفة من نورمانين ولاتينين وسلاجقة ، بالإضافة إلى محاولات الأرمن والبيزنطيين لفرض نفوذهم عليها .

وقد وضعنا التحديد الزمني لموضوع البحث في الفترة الممتدة بين عامي ١١٠٤ - ١١٧٢ م / ٤٩٧ - ٥٦٨ هـ ، وذلك لأن التاريخ الأول يمثل بداية سيطرة الصليبيين على المدينة أما الآخر فيمثل تاريخ استعادة نورالدين محمود لها ، وفيما يلي تلك الفترة أصبح دور المدينة في الصراع الإسلامي الصليبي محدوداً .

وفي البداية تحدثنا عن موقع المدينة وأهميته ، ثم سطرنا نبذة عن أحوال مرعش منذ الفتح الإسلامي لها في القرن السابع الميلادي / القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر الميلادي / القرن الرابع الهجري ، وأعقبنا ذلك بتوضيح أحوال المدينة قبيل مجيء الصليبيين إلى الشرق الأدنى الإسلامي ، ثم ألقينا الضوء على الدور الذي قامت به المدينة ، وأثره في الصراع الإسلامي الصليبي .

وأرجو من المولى عز وجل أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث لما فيه
خير لأمتنا العربية وتاريخها المجيد .

والله ولي التوفيق ،،،

د . ابراهيم محيس ابراهيم

تقع مدينة مرعش في شمال الشام ، ويمدها جبل اللكام من جهة الغرب^(١) ، وتطل على الطريق المؤدى إلى مدينة حلب ، والثاني المتجه ناحية الجنوب الشرقي إلى مدينة الرها^(٢) ، والأخر المتجه شمالا إلى مدينة الحدث^(٣) . ولهذا فهي تقع في المنطقة التي تفصل بين الشام وبين آسيا الصغرى من جهة ، وبين الشام وأرمينية من جهة أخرى^(٤) ويتوسطها حصن متيع محاط بسورين^(٥) وأمامهما خندق^(٦) .

ولموقع مدينة مرعش أهمية تجارية لكونها تشرف على الطريق البري المتجه من الشام إلى أراضي آسيا الصغرى ، فضلا عن الأهمية العسكرية لكونها مركزا من المراكز العسكرية الحصينة على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية ، ولهذا حظيت المدينة باهتمام وعناية الأباطرة البيزنطيين^(٧) قبل بداية حركة الفتح الإسلامية الكبرى في القرن السابع الميلادي .

بعد أن انطلقت حركة الفتح الإسلامية في أوائل عهد الخليفة أبي بكر الصديق (١١ - ١٣ هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤ م) نجح المسلمون في عام ١٥ هـ /

(١) الحموي - الروض المظفر في عبر الأقطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٥١٠ .

(٢) Albert d'Aix, Historia Hierosolymisana, in R.H.C.H. Occ. Vol. IV, PP. 363-364. (٢)

(٣) الكوي : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا ، ٢ ج ، بيروت (بدون تاريخ) ، ج ٢ ، ص ١٢١٥ .

(٤) الحموي : المسلك السابق ، ص ٥٤١ .

(٥) البغدادي : مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ٣ ج ، ط ١ ، بيروت ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ، ج ٣ ، ص ١٢٥٩ .

(٦) بلقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥ ج ، بيروت ١٩٧٧ ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٧) Michael The Syrian, Chronique de Michael le Syrien Patriarche Jacobite d'Antioch (٧)

(1166-1199) éditée en Français Par J.H. Chabot, 3 Vols. 1905, Vol. II, PP. 425-426.

٦٣٦ م في فتح مدينة مرعش^(١) أثناء عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣) —
٢٣ هـ / ٦٣٤ م — ٦٤٤ م) ، وذلك عندما أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح
وهو بمدينة منبج^(٢) خالد ابن الوليد إلى ناحية مرعش ، ففتحها ، وقام بإجلاء
أهلها^(٣) وأحرب حصنها^(٤) ، وتنتهي بذلك السيطرة البيزنطية على مدينة
مرعش ، وتبدأ المدينة مرحلة جديدة في ظل الحكم الاسلامي .

ازداد اهتمام السلطات الاسلامية بمدينة مرعش لكونها تقع في المنطقة
المواجهة للحدود البيزنطية ، والتي عرفت بمنطقة الثغور^(٥) إذ سكنها جنـ
المسلمين للتصدي لهجمات البيزنطيين وانطلقت منها الجيوش الاسلامية لمهاجمة
الأراضي البيزنطية^(٦) ، وكان أول من اهتم بتحصين مدينة مرعش من الحكام
المسلمين هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (٤١ — ٦٠ هـ / ٦٦١ —
٦٨٠ م) إذ أعاد بناء الحصن الذي سبق أن أخربه خالد بن الوليد ، وأسكنه
بعضاً من جنده^(٧) .

ازدادت غارات البيزنطيين على مدينة مرعش بعد موت الخليفة الأموي يزيد
ابن معاوية (٦٠ — ٦٣ هـ / ٦٨٠ — ٦٨٢ م) مما دفع بعض أهلها إلى
مغادرتها^(٨) ، ودفع بالخليفة الأموي مروان بن محمد (٦٤ — ٦٥ هـ /
٦٨٣ — ٦٨٥ هـ) إلى إعادة بناء حصنها^(٩) ، وأسوارها^(١٠) ، وكان لتلك

(١) Michael The Syrian, op. cit., Vol. I, PP. 426- 427. (١)

(٢) منبج : مدينة ناحية قسرين ومركزها ، وهي مدينة كبيرة عليها سوران وهي من بناء الرومان ،
وكان بها قلعة وحصن ، أنظر : الحموي : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٢ ج ، بيروت ١٩٧٩ م ج ٢ ، ص ٤٩٧ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ليدن ١٨٦٦ ، ص ١٨٨ .

(٥) البغدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٥٩ .

(٦) البلاذري : نفس الموضع .

(٧) الحموي : المصدر السابق ، ص ٥٤١ .

(٨) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٨٨ . (٩) البغدادي : المصدر السابق ، ص ١٢٥٩ .

(١٠) ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٠٧ .

التحصينات أثر كبير في جعل المدينة بمنأى عن هجمات البيزنطيين قرابة عشر سنوات . ففي عام ٧٥٠ هـ / ٦٩٥ م تعرضت المدينة لهجوم البيزنطيين ، فخرجت إليهم القوات الإسلامية بقيادة دينار بن دينار حاكم مدينة قنسرين والتقى الجمعان بالقرب من مرعش ، وانتصر المسلمون ، وظاردوا البيزنطيين إلى داخل أراضيهم^(١) ، ويبدو أن البيزنطيين قد أحدثوا خراباً بالمدينة لذلك توجه العباس بن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ / ٧٠٥ — ٧١٧ م) إلى مرعش فعمرها وحصنها ونقل إليها بعض الأهالي والجنود^(٢) ، وفي عام ١١٣ هـ / ٧٣١ م انطلقت القوات الإسلامية بقيادة معاوية بن هشام بن عبد الملك من المدينة للإغارة على أراضي البيزنطيين^(٣) .

وفي ضوء ما سبق يتضح أن موقع مدينة مرعش في منطقة الثغور جعلها تتعرض لهجمات البيزنطيين المتكررة ، أغقبتها تخريب تحصينات المدينة ، واهتمام من قبل السلطات الأموية لإعادة بناء ما خرب فيها ، وبقيت أحوال مدينة مرعش في ظل الصراع الأموي البيزنطي على هذا المنوال . ففي بداية عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد (١٢٧—١٣٢هـ/٧٤٤—٧٥٠م) حاصر البيزنطيون مرعش حتى صالحهم أهلها على الجلاء ، وخرجوا نحو الجزيرة وقنسرين ، وقام البيزنطيون بتخريب المدينة ثم انسحبوا منها . فبعث الخليفة مروان جيشاً لإعادة بنائها فبنيت ، وعاد إليها أهلها ، ثم خرج نحوها البيزنطيون مرة أخرى في أواخر عهد هذا الخليفة الأموي وأخربوها^(٤) .

أما في العصر العباسي فلم يطرأ تغيير على دور المدينة في ظل الصراع

(١) البلاذري : الفصيح السابق ، ص ١٨٨ — ١٨٩ ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن عياط ، تحقيق - أكرم ضياء العمري ، ج ٢ ، بغداد ١٩٦٧ ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، الطبري : فترج الأمم والملوك ، ج ١٣ ، بيروت ١٩٧١ ، ج ٧ ، ص ٢١٠ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٩١ .

(٢) البلاذري : الفصيح السابق ، ص ١٨٩ ، الطبري : الفصيح السابق ص ٥٤١ .

(٣) ابن الأثير : الفصيح السابق ، ج ٥ ، ص ١٧٦ .

(٤) البلاذري : الفصيح السابق ، ص ١٨٩ ، الطبري : الفصيح السابق ص ٥٤١ — ٥٤٢ .

الاسلامى البيزنطى ، إذ استمرت هجمات البيزنطيين عليها ، واستمرت عناية الخلفاء العباسيين بأعادة بناء تحصينات المدينة وشحنها بالجند . ففى عهد الخليفة أنى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٤-٧٧٥ م) تم اصلاح ما تحربه البيزنطيون ، وزاد عدد سكانها بعد ما أجزل لهم الخليفة المنصور العطاء لتشجيعهم على الإقامة فيها ، أما الحامية فقد زادت أعداد أفرادها فى عهد الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) (١) .

ظلت مدينة مرعش تحت سيادة الحكم الاسلامى حتى القرن العاشر الميلادى / القرن الرابع المحجرى ، حيث أخذت الخلافة العباسية تنقل يوماً بعد يوم من سىء إلى أسوأ (٢) ، بينما أخذت الامبراطورية البيزنطية فى معالجة شئونها الداخلية والخارجية (٣) وتوجه إلى التوسع على حساب الأراضى الإسلامية فى الشرق (٤) ، وفى عام ٩٤٩ م / ٣٣٧ هـ توجه القائد البيزنطى ليفوقاس Leo Phocas بقواته إلى مرعش واستول عليها (٥) من الحمدانيين ، وبأمت جهود سيف الدولة الحمدانى للتصدى للبيزنطيين ، واستعادة المدينة بالفشل (٦) . وبذلك عادت المدينة إلى الحكم البيزنطى بعد أن ظلت فى حوزة المسلمين قرابة ثلاثة قرون .

اختلف الدور الذى قامت به مدينة مرعش فى ظل الحكم البيزنطى قبيل

(١) البلادى : نفس الموضع .

(٢) عن نهاية سوء تلك الأوضاع راجع : الطوى : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٢٠٨-٢٥٢ .

(٣) Ostrogorsky, G. : History of the Byzantine state. Tr. by Joan Hussey, (Oxford 1956, P. 239.

(٤) Canard, M., Histoire de la Dynastie de Hamdanides de Jazira et de Syrie, Paris, 1953, (٤) P. 732.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٨ .

(٦) Canard, op. cit, PP. 761 - 769; Schlumberger, G., Un Empereur Byzantin au dixième Siècle Nicéphore Phocas, Paris, 1890, PP. 40 - 41

مجيء الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامي عن دورها السابق عندما كانت في حوزة المسلمين ، وذلك بسبب تغير ظروف المنطقة ، فبعد أن كان دورها محصوراً في كونها تقع في منطقة الثغور على الحدود الإسلامية البيزنطية والتي شهدت منذ الفتح الإسلامي للمنطقة في القرن السابع الميلادي / القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر الميلادي / القرن الرابع الهجري أغارات كل من الجانيين على الآخر والتي كان من أثرها تعرض المدينة للتخريب ، وإعادة البناء عدة مرات . أما في آخريات القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلادي / أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري أصبحت منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ميداناً للصراع بين القوى الإسلامية المختلفة وبعضها البعض من جهة ، وبين القوى الإسلامية وبين البيزنطيين من جهة أخرى ، وكان من الطبيعي أن تنغمس مدينة مرعش في هذا الصراع بعد أن انتقلت تبعيتها إلى السيادة البيزنطية .

ظهر الأتراك السلاجقة على مسرح الأحداث في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، وأخذوا في توسيع رقعة دولتهم على حساب المسلمين والبيزنطيين في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وزاد نفوذهم حتى أصبحوا أوصياء على الخلافة العباسية (١) . وأمام التهديد السلجوقي لممتلكات البيزنطيين في الشام وقلقية ، خرج الامبراطور البيزنطي رومانوس الرابع (Romanus IV) (١١٦٨ - ١٠٧١ م / ٤٦١ - ٤٦٣ هـ) بجيشه صوب الحدود الشرقية من الامبراطورية البيزنطية عام ١٠٦٩ م / ٤٦٢ هـ ، واسترد مدينة منبج (٢) ، ثم توجه إلى مدينة مرعش ، وقام بتعيين أحد القادة الأرمن في جيشه ويدعى فيلارتيوس براخامبوس (٣) Philaritus Brachamius

(١) عن ظهور الأتراك وتوسعهم راجع : الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق - بيروت ١٩٧٨ م ، ص ٧ - ١١ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٠ .

(٣) يطلق عليه بعض المؤرخين العرب اسم الفردوس ، والفلاوروس . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ - ٤٢٧ ، ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدعاء ، ج ٢ ، دمشق ١٩٥١ م ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

حاكا على المدينة (١)

تولى فيلاريتوس حكم مرعش تحت السيادة البيزنطية في وقت أخذت فيه الامبراطورية البيزنطية تعالی من الضعف ، وتقلص حدودها الشرقية على أيدي السلاجقة ، وتلقى الضربات المتلاحقة . إذ منيت بهزيمة كبرى على أيدي السلاجقة في موقعة ملاذكرد عام ١٠٧١ م / ٤٦٣ هـ (١) ، وأما في الغرب الأوربي فقد استولى النورمان بزعامة روبرت جويسكارد على مدينة باري التي تعتبر آخر معاقل البيزنطيين في جنوب ايطاليا (٢) .

كان على فلاريتوس في ضوء المتغيرات الجديدة التي أحاطت بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، وبالامبراطورية البيزنطية أن يحدد علاقته بالبيزنطيين من جهة وبالمسلمين من جهة أخرى . فبالنسبة لموقعه من البيزنطيين ، أظهر فلاريتوس ما يمكنه الأرمن من كراهية للبيزنطيين (٣) ، ورفض الاعتراف بالامبراطور البيزنطي ميخائيل دوкас (٤) (١٠٧١—١٠٧٨ م / ٤٦٣—٤٧٠ هـ) ، واستولى على بعض المدن والحصون التي كانت تابعة للبيزنطيين

(١) كان فيلاريتوس من بين الأرمن الذين التحقوا بالخدمة في الجيش البيزنطي وارتقى إلى رتبة قائد منطقة Domestic ، ثم أصبح حاكا على مدينة مرعش . راجع :

Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173; Anna comnena, The Alexiad, English trans. by Elizabeth Dawes, London, 1928, P. 153.

(٢) عن تلك المعركة راجع : ابن القلاس : ذيل تهويع دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ ، ص ١٣٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٥ — ٦٧ ؛ ابن العبري : فريخ مختصر الخيون ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٨٥ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٨ ، وأيضاً :

(٣) Vasiliev, A., Histoire de L'Empire Byzantin, 2Vols., Paris, 1932, I, PP. 467 — 470; Ostrorogowsky, op. cit., P. 304.

Vasiliev, op. cit., I, P. 474.

(٤) عن أسباب تلك الكراهية راجع :

Matrice d'Édesse, Chronique, in R.H.C. Doc. Arm. Vol. I, PP. 72, 75, 113.

Anna Comnena, op. cit., PP. 152 — 153; Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173. (٥)

وقنداك ، ومنها خرتوت (١) وابلسين (٢) والمصيصة (٣) وربعان (٤) وطرسوس (٥) وعين زربة (٦) وملطية (٧) والرها في الفترة فيما بين عامي ١٠٧٧-١٠٧٨ م / ٤٦٩-٤٧٠ هـ ، كما خضع له كل من الزعيم الأرميني روبين حاكم المنطقة التي تقع شمال شرق مدينة سيس بجبال طوروس ، وأيضا الزعيم الأرميني أوشين حاكم مدينة أذنة (٨) ، هذا ، بالإضافة إلى سيطرته على مدينة أنطاكية (٩) ، وبذلك وضع فلاريتوس أساس دولة أرمينية جديدة في

(١) خرتوت : حصن يعرف أيضا بمعين زباد ، يقع في أقصى ديار بكر من بلاد الشام بالقرب من ملطية ويصل بينهما نهر الفرات : راجع ، ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٢) ابلسين : مدينة في بلاد الروم تقع بالقرب من مدينة أيسوس ، ويقال أنها مدينة أصحاب الكهف ، راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٣ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطئ نهر جيحان في شمال الشام ، وتقع بالقرب من مدينة طرسوس ، راجع ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٤٤ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨٠ ؛ البكري : المصدر السابق ج ٢ ، ص ١٢٣٥ .

(٤) ربعان : مدينة في منطقة الثغور تقع بين مدينتي حلب وحمص بالقرب من نهر الفرات ، راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٣ ص ٥٦ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢١ .

(٥) طرسوس : مدينة بالثغور الجزيرة في شمال الشام تقع بين أنطاكية وحلب والقرب من مدينة أذنة . راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٨ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨٨٢ ؛ البكري : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٨٩٠ .

(٦) عين زربة : بلد في شمال الشام تقع بالقرب من المصيصة . راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٨ ؛ البغدادي : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٧) ملطية : مدينة بناها الاسكندر ، وجامعها من بناء الصحابة ، وهي من بلاد الروم وتنتسب للشام . راجع : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ١٩٢ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٠٨ .

(٨) أذنة : بلد من الثغور تقع بالقرب من المصيصة وبين حمي فيد عشرين ميلا ، راجع : البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٩) Anna Comnena, op. cit., p. 153; Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 172 - 173.

جنوب شرق آسيا الصغرى (١) والتساؤلات التي تطرح نفسها هنا تتمثل في : هل كان فلاريتوس يهدف من وراء قيامه بتلك الأعمال الاستقلال التام عن الإمبراطورية البيزنطية ؟ وهل كتب لتلك الدولة الأرمنية — وهي في طور التأسيس — البقاء والاستمرار ؟

يتضح من أعمال فلاريتوس السابقة ، والتي تعتبر انعكاسا لكرهية الأرمن للبيزنطيين أن فلاريتوس كان يهدف بالفعل إلى إقامة دولة مستقلة عن الإمبراطورية البيزنطية مستغلا ضعفها من جهة ، والصراع بينها وبين السلاجقة من جهة أخرى ، وحالة الاضطراب التي سادت منطقة الشرق الأدنى الإسلامي وقتذاك من جهة ثالثة ، ولكن تصافرت ضده عدة أسباب أدت في النهاية إلى فشل مشروعه ، وتمثل فيما يلي :

أولا : أن فلاريتوس لم يكن محبوبا من رعاياه المسيحيين وأبضا من بعض جنده (٢)

ثانيا : أن السلاجقة كانوا لا يمكن أن يفضوا البصر عن تلك الامارة الأرمنية التي كانت تعترض طريق توسعهم إلى الشام (٣)

ثالثا : أن الامبراطورية البيزنطية — وان كانت تمر بمرحلة الانكماش — إلا أنها لن تتنازل في سهولة ويسر عن حقها الشرعي في السيادة على المناطق التي استولى عليها فلاريتوس (٤)

رابعا : مؤامرة ابنه وبعض قادته ضده (٥)

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(٢) ابن الأثير : المقدم السابق ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ ، ابن العديم : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٨٧ — ٨٩ .

(٣) عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٤) Anna Comnena, op. cit., p. 153.

(٥) Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 173.

نتيجة للأسباب السابقة رأى فلاريتوس ضرورة وضع أسس جديدة لسياسة الخارجية تقوم على معاداة البيزنطيين ، وفي الوقت نفسه يعمل على التقرب من الزعماء المسلمين في المنطقة المحيطة بدولته الناشئة كي يوفر لها سبل البقاء والاستمرار . لذلك أخذ فلاريتوس يتودد للبيزنطيين ، واعترف بالإمبراطور نقفور الثالث Nicephore (١٠٧٨ - ١٠٨١ م / ٤٧١ - ٤٧٤ هـ) ، فأقره الإمبراطور على ما تحت سيطرته من ممتلكات ، كما سارع فلاريتوس بالاعتراف بالإمبراطور الكسيس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨ م / ٤٧٤ - ٥١٢ هـ)^(١) .

أما عن علاقته بالزعماء المسلمين ، فقد أخذ فلاريتوس يتقرب من شرف الدولة مسلم بن عقيل أمير الموصل ، فجعله الأخير يتولى حكم أنطاكية بوصفه نائباً عنه ، ويدفع في مقابل ذلك أموال الجزية^(٢) ، كما قام نائب فلاريتوس في حكم الرها بنقش السكة باسم أمير الموصل^(٣) ، ولم يكتف فلاريتوس بتلك العلاقة مع شرف الدولة مسلم ، إنما سارع إلى عاصمة الخلافة العباسية وأعلن خضوعه وولائه للخليفة العباسي ، واعتناقه للدين الإسلامي^(٤) .

لم تشر جهود فلاريتوس في المحافظة على دولته الأرمنية الناشئة ، إذ بدأ عقدها ينقرط في آخريات حياته . ففي عام ١٠٨٤ م / ٤٧٧ هـ استولى سلطان سلاجقة الروم سليمان بن قلمش (٤٧٤ - ٤٧٩ هـ / ١٠٨١ - ١٠٨٦ م) على مدينة أنطاكية ، بعدما كاتبه أين فلاريتوس وبعض الجند في المدينة

Anna Comnena, op. cit., P. 153.

(١)

(٢) ابن الأثير المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وأيضاً -

Michel the Syrian, op. cit, Vol. III, P. 173.

(٣) ابن الأثير المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٢٢ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩

(٤) ابن الأثير المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٢٧ ، وأيضاً .

Anna Comnena, Loc. cit. .

Michel the Syrian, Loc. cit.

يستدعونه لامتلاكها^(١) ، كما سيطر القائد السلجوقي عماد بن جيق على قلعة خرتبرت^(٢) ، وبعد وفاة فلاريتوس في مدينة مرعش عام ١٠٩٠ م / ٤٨٣ هـ ، تفككت الدولة الأرمينية الناشئة ، إذ سيطر سلاجقة الروم على مدينتي طرسوس^(٣) ، والرها^(٤) ، بينما اقتسم قادة فلاريتوس من الأرمن بقية المدن . فتولى كواسيل حكم مدينة رعبان ، وحصل جبرئيل على ملطية ، أما مرعش فكانت من نصيب القائد ثاتول^(٥) Thatoul . وبذلك انتهى الدور الذي قام به حاكم مدينة مرعش قبيل مجيء الصليبيين إلى منطقة الشرق الأدنى الإسلامي ، وتمثل في إقامة دولة أرمينية ، تمزقت بعد وفاته ، واقتسمها بعض قادته من الأرمن الذين مهدوا الطريق للصليبيين على مشارف الشام^(٦) .

عندما بدأت الحركة الصليبية ، وسار الصليبيون في حملتهم المعروفة بالصليبية الأولى في اتجاه الشرق الأدنى الإسلامي ، واحترقوا سلسلة جبال طوروس ، توجهوا في ١٣ أكتوبر ١٠٩٧ م / ٢٤ شوال ٣٩٦ هـ إلى مدينة مرعش فاستقبلهم حاكمها ثاتول ومن معه من الأرمن بالمودة والترحاب ، وقدموا لهم ما يحتاجون إليه من مؤن وزاد^(٧) ، فاطمان الصليبيون إلى ثاتول ، واتروه في منصبه كحاكم على المدينة في ظل التبعية البيزنطية^(٨) ، ومكث

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٠ - ٩٦ .

Anna Comnena, Loc. cit., P. 153.

(٢) ابن الأثير : نفس الموضع ، ج ١٠ ، ص ٤٢٧ .

(٣) William of Tyre, A History of Deeds done beyond the sea, 2Vols, Trans by Emily Babcock A.C. Krey, New York, 1943, Vol. II, P. 319.

(٤) ابن الأثير : نفس الموضع .

(٥) Micheal the Syriac, op. cit., Vol. III, pp. 173, 186-187.

(٦) عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٧) Fulcher of Chartres, A History of the expedition of Jerusalem (1095-1127), Tennessee, U.S.A., 1969, P. 89.

(٨) Micheal the Syriac, op. cit., Vol. III, P. 187.

الصلبيون في مرعش محمة أيام ، وبعد أن تزودوا بالمؤن غادروها في ١٧ أكتوبر / ٢٧ شوال حيث انقسم الصليبيون إلى قسمين : الأول بقيادة بلدوين دى بويون وتوجه إلى الشرق جنوب مدينة الرها (١) ، والثاني ويمثل غالبية الصليبيين قد توجه ناحية مدينة أنطاكية (٢) .

ببقاء ثاتول حاكما على مرعش حتى خروج الصليبيين منها تنفل المدينة تحت السيادة البيزنطية التي بدأت منذ منتصف القرن العاشر الميلادي / منتصف القرن الرابع الهجري ، ويكون الصليبيون قد أقروا تبعيتها للبيزنطيين ، ولكن سرعان ماتعرضت تلك السيادة البيزنطية للخطر عندما حاول أمير أنطاكية النورمانى بوهند الأول (Bohemond I ١٠٩٨-١١٠٤ م / ٤٩١-٤٩٧ هـ) في عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ السيطرة على مدينة مرعش ، وانتزاعها من يد الصليبيين ، ولكنه لم ينجح في محاولته ، وكل ما استطاعه السيطرة على المنطقة المكشوفة المحيطة بالمدينة (٣) . ولعل التساؤل الذى يطرح نفسه في تلك الحادثة هو : لماذا حاول الأمير بوهند الاستيلاء على مدينة مرعش ، بالرغم من أن الصليبيين قد أقروا تبعيتها للبيزنطيين ؟ .

يشير كل من ميخائيل السرياني ، والمؤرخ متى الرهاوى إلى أن جبرئيل حاكم ملطية هو الذى حرض الأمير بوهند على الاستيلاء على مدينة مرعش ، وذلك بسبب النزاع الذى قام بينه وبين ثاتول حاكم مرعش ، وأن جبرئيل كان يخشى هجوم ثاتول على مدينته (٤) . ولكن في الحقيقة إذا كان هذا التحريض يعتبر ميبا مباشرا ، فهناك أسبابا أخرى غير مباشرة تتمثل في العداء القديم بين

Falcher of Châtres, Loc. cit.

(١)

(٢) ابن الغلاتس : المصدر السابق ، ص ١٣٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق : ج ١٠ ، ص ٢٧٤ ، ابن العديم . المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، وأيضا .

William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 204.

Mattieu d'Esse, op. cit., P. 51.

(٣)

Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 187.

(٤)

Mattieu d'Esse, op. cit., P. 50.

البيزنطيين والنورمان بصفة خاصة ، وبين الصليبيين وبين البيزنطيين بصفة عامة (١) ، والتي كشفت عنها أحداث الحروب الصليبية .

وكيفما كان الأمر ، فعندما شعر البيزنطيون بمخاطرة هجوم الأمير بوهمند على مدينة مرعش ، وعزم الصليبيون على الاستيلاء عليها ، أرسل الإمبراطور الكميسس قائده بوتوميتس إلى المدينة للدفاع عنها ، ولم يمكث القائد البيزنطي بضعة أيام حتى استدعاه الإمبراطور إلى القسطنطينية ، فقاد بوتوميتس مرعش بعد ما ترك بها حامية بيزنطية لمواجهة التهديد الصليبي (٢) ، واستغل الصليبيون تلك الفرصة ، فتوجه الأمير النورمانى بوهمند الأول ، بصاحبه الأمير اللاتينى جوسلين دى كورتناى Joscelyn de Courtenay حاكم تل باشر إلى المدينة بقواتهما ، وضربوا الحصار حولها ، وعندما شعر ثاتول بعجز المدينة عن المقاومة اضطر إلى تسليمها لجوسلين فى عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ ، وسمح له الأخير بالتوجه إلى القسطنطينية (٣) ، وتنتهى عندئذ السيطرة البيزنطية على مرعش ، وتنتقل بتبعيتها إلى الصليبيين لتبدأ مرحلة جديدة فى الصراع الإسلامى الصليبي حولها .

تسلم جوسلين دى كورتناى مدينة مرعش برصفه نائباً لبلدوين دى بورج Baldwin du Boury الذى كان حاكماً على الرها ، ثم أصبح ملكاً على بيت المقدس (٤) (١١١٨-١١٣١ م / ٥١٢-٥٢٥ هـ) ، وبذلك أصبحت مدينة مرعش تتبع كونتية الرها فى ظل السيادة الصليبية ، ولكن نظراً لوقوع كل من بلدوين دى بورج وجوسلين دى كورتناى أسيرين فى قبضة المسلمين بعد أن اشتركا فى معركة حارم عام ١١٠٤ م / ٤٩٧ هـ (٥) ، أصبحت الرها

(١) عن هذا العناء راجع : جوزيف سيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، الاسكندرية ١٩٦٧ م .

(٢) Anna Comnena, op. cit., pp. 290-292.

(٣) Mutilieu d'Edesse, op. cit., p. 75.

(٤) William of Tyre, op. cit., Vol. I, pp. 287, 369, 522.

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، وأيضاً :

William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 459.

ومرّش تحت وصاية تنكريد الأول Tancred I أمير أنطاكية (١١٠٤ — ١١١٢ م / ٤٩٧ — ٥٠٦ هـ) ، فقام تنكريد بتعيين ابن عمه وصهره ريتشارد Richard نائبا عنه في حكم كل من الرها ومرّش (١) ، وتميز حكم ريتشارد بالقسوة وابتزاز الأموال مما أدى إلى نفور سكان المدينتين ، وخاصة الأرمن من حاكمهم الصليبي (٢) ، كما زادت تلك الكراهية عندما قام تنكريد بتجنيد عدد من سكان المدينة لمواجهة العجز من قلة المحاربين في إمارته (٣) .

ظلت الرها ومرّش تحت وصاية تنكريد قرابة أربع سنوات ، إلى أن تم إطلاق سراح بلدوين دي بورج في عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ ، ورفض تنكريد إعادة الرها إليه ، عندئذ لجأ بلدوين إلى الاستعانة بالزعماء الأرمن من قليقية ومن بينهم كوانسيل حاكم كيسوم ، واشين حاكم قليقية ، فلبوا النداء وتوجهوا بقواتهم إلى تل باشر لمناصرة بلدوين في نزاعه مع تنكريد ، وعندئذ تدخل برنارد Bernard بطريرك أنطاكية اللاتيني لإنهاء الخلاف بين الزعيمين ، وأقنع تنكريد بضرورة إعادة الرها إلى بلدوين ، فوافق الأول ، وأمر بسحب نائبه ريتشارد من المدينة (٤) .

استمر ريتشارد يحكم مدينة مرّش حتى عام ١١١١ م / ٥٠٥ هـ بوصفه نائبا عن تنكريد حاكم أنطاكية ، وشارك الصليبيين في مواجهة الحلف الإسلامي

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٦١ ، وأيضا :

Radulph of Caen, Gesta Tancredi Sicilise Regis in Expeditione Hierosoly mitana. in R.H.C. - H. Occ., Vol. III, P. 714; Albert d'Aix : op. cit., P. 620. Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, P. 195.

Mattieu d'Edesse, op. cit., 79;

(٢)

Albert s'Aix, op. cit., p. 648.

Radulph of Caen, Loc. cit.

(٣)

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٦١ — ٤٦٢ ، وأيضا :

Albert d'Aix, op. cit., p. 648;

Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 77 - 79.

بقيادة مودود أتاتك الموصل ، والتقى الجمعان أمام مدينة شيرز في العام نفسه ، وان كان اللقاء لم يؤد إلى حدوث اشتباك عسكري بينهما^(١) ، وفي الوقت نفسه استغل كواسيل فرصة انشغال تكريد ونائبه رينشارد بمواجهة الحلف الاسلامي ، واستولى على مدينة مرعش ، وبذلك اتسع نفوذه ، وأصبح يسيطر على كيسوم ورعبان بالإضافة إلى مرعش^(٢) . والتساؤلات التي تطرح نفسها هنا : لماذا لم يطلب بلدوين دي بورج من تكريد إعادة مدينة مرعش إليه أسوة بمدينة الرها ؟ ، ولماذا طال انتظار بلدوين على تلك المطالبة حتى عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ إلى أن استولى كواسيل الأرميني على مدينة مرعش ؟ ولماذا قام كواسيل حليف بلدوين بالأمس القريب — بالاستيلاء على المدينة عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ ، وهو يعلم أنها كانت من ممتلكات حليفه السابق ؟ .

لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أن بلدوين دي بورج قد طلب من تكريد إعادة مدينة مرعش إليه أسوة بمدينة الرها ، وأمام صمت المصادر في هذا الجانب ، فاننا نضع للإجابة على التساؤل الأول احتمالاً وهو أن بلدوين دي بورج قد اكتفى بالمطالبة — في بداية الأمر — بمدينة الرها نظراً لأهميتها التي لاشك أنها تفوق أهمية مدينة مرعش بالنسبة له ، وذلك اعتقاداً منه أن استرداد الرها سيتلوه في القريب العاجل استرداد مدينة مرعش ، ولكن العلاقة بينه وبين تكريد في الفترة التي تلت استرداد الرها عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ ، كانت

(١) عن تلك المواجهة راجع : ابن الفلاس : المصدر السابق ، ص ١٧٧ ؛ اسامة ابن مقعد : الاختيار ، تحقيق قليب حتى ، برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ م ، ص ٦٨ — ٦٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٨٦ — ٤٨٧ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ وأيضاً :

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 201 - 203;

Michael the Syrian, op. cit. Vol. III, P. 205;

Albert d'Aix, op. cit., PP. 683 - 684;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 499.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٩٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج ٧ ، ص ١٩٧١ م ، ج ٥ ، ص ٤٢ ؛ وأيضاً :

Mattieu d'Edesse, op. cit., PP. 99 - 100.

على غير وفاق ، إذ بدأ الصراع بين بلدوين دى بورج يسانده تابعه جوسلين دى كورتناى حاكم تل باشر ، وجاولى أتابك الموصل من جهة ، وبين تنكريد يسانده صهره ريتشارد حاكم مرعش ، ورضوان بن تش ملك حلب (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) من جهة أخرى ، وقد انتهى هذا الصراع بانتصار الفريق الثانى^(١) . أما عن الاجابة عن التساؤل الثانى فتشمل فى أن بلدوين دى بورج ظل حتى عام ١١١١ م / ٥٠٥ هـ لا يطالب تنكريد باعادة مدينة مرعش ، لأنه كان فى موقف المنهزم ولا يستطيع أن يطالب المتصر باعادة تلك المدينة ، هذا بالإضافة إلى انشغال بلدوين فى تلك الفترة فى مواجهة الهجمات الاسلامية المتكررة على الرها وتل باشر^(٢) . وبالنسبة للإجابة عن التساؤل الثالث ، فقد كان لسياسة التعسف التى اتبعها بلدوين دى بورج ضد الأرمن فى الرها^(٣) ، كان لها أكبر الأثر فى قلب كواسيل حاكم كينكوم الأرمينى ، الذى غضب لسوء معاملة بنى بلدته ، فهاجم مرعش فى عام ١١١١ م / ٥٠٥ هـ واستولى عليها .

كان استيلاء كواسيل على مدينة مرعش ، وازدياد نفوذه فى قليقية بمثابة تهديد لامارة أنطاكية ، وفى الوقت نفسه أثار غضب حاكم الرها الذى كان يتحين الفرصة المناسبة لاسترداد مرعش ، ولهذا تقاربت وجهات النظر بين بلدوين دى بورج وبين تنكريد ، واتفقا على محاربة كواسيل ، مما دفع الأخير

(١) عن هذا الصراع راجع : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٥٣ ، وأيضاً :

Albert d'Aix, op. cit., P. 649;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, 474.

(٢) عن تلك الهجمات راجع : ابن القلاسى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٥ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٤٨٦ ، ٤٩٢ ، وأيضاً :

Albert d'Aix, op. cit., pp. 672, 680 - 681; Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 100 - 105; Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 196.

Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 101, 264.

(٣)

إلى طلب الحماية من أسنقر البرسقى حاكم الموصل^(١) . وبينما كان تنكريد يستعد للزحف إلى ممتلكات كواسيل اشتد عليه المرض في الطريق ، فعاد إلى أنطاكية^(٢) ، ومات في ديسمبر ١١١٢ م / جمادى الآخرة ٥٠٨ هـ^(٣) ، وانتهت بذلك حملته المرتقبة .

لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى تاريخ استرداد بلدوين دي بورج لمدينة مرعش ، وإنما اكتفت بالإشارة إلى أن جفرى الراهب Gaufridus Monacus كان يتولى حكم المدينة عام ١١١٩ م / ٥١٣ هـ بوصفه نائباً لجوسلين دي كورتناى حاكم الرها^(٤) . ولما كان جوسلين قد تولى حكم الرها عام ١١١٨ م / ٥١٢ هـ ليحل محل بلدوين دي بورج حاكمها الأسبق ، والذي أصبح ملكاً على مملكة بيت المقدس اللاتينية تحت اسم بلدوين الثاني^(٥) (١١١٨ - ١١٣١ م / ٥١٢ - ٥٢٥ هـ) ، يكون بلدوين قد استرد المدينة في الفترة من عام ١١١٢ م / ٥٠٦ هـ حتى عام ١١١٨ م / ٥١٢ هـ ، ويبدو أنه استردها في الفترة التي شهدت حملاته على منطقة قليقية والمحصورة بين عامي ١١١٥ - ١١١٧ م / ٥٠٩ - ٥١١ هـ^(٦) .

وكيفما كان الأمر ، فقد عادت مرعش تتبع كونتية الرها وحاكمها جوسلين دي كورتناى ، وفي سبتمبر ١١٢٢ م / رجب ٥١٦ هـ وقع جوسلين

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٥٠٦ .

(٢) ابن القلاسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 425; William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 492.

(٤) Walter The Chancellor, Bella Antiochena, in R.H.C. H-Occ Vol. V., P. 108.

Fulcher of Chartres, op. cit., PP. 227 - 230;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 529.

(٥) Fulcher of Chartres, op. cit., P. 178;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, P. 369, 522.

(٦) Mattieu d'Edesse, op. cit., pp. 116 - 117.

أسيراً في قبضة بلك غازي بن بهرام صاحب خرتيرت (١) ، لذلك اسند الملك بلدوين الثاني إدارة الرها في أبريل ١١٢٣ م. صفر ٥١٧ إلى جفري الراهب حاكم مرعش ، وظل جفري يقوم بتلك المهمة ، وفي الغارات على القرى الإسلامية القريبة من الرها (٢) إلى أن نجح جوسلين في الفرار من سجنه بقلعة خرتيرت ، بينما ظل الملك بلدوين الثاني بداخل القلعة إلى أن جاءت القوات الإسلامية بقيادة بلك بن بهرام ، وتمكنت من أسر بلدوين للمرة الثانية (٣) ، وتم نقله إلى قلعة حران (٤) .

كان على جوسلين العمل على فك أسر الملك الصليبي ، ولكن عندما علم أن المسلمين قد نقلوه إلى القلعة الحصينة حران ، أخذ في شن الغارات على المناطق القريبة من حلب ، وقام بأعمال السلب والنهب والتدمير (٥) ، وشاركه

(١) ابن القلائس: المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق : ج ١٠ ، ص ٥٩٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٠٦ . وأيضاً

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 240;

Mattieu d'Edesse, op. cit., p. 131;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 540.

Fulcher of Chartres, op. cit.; p. 237; (٢)

Mattieu d'Edesse, op. cit., 131;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 537.

(٣) تم أسر الملك بلدوين الثاني للمرة الأولى على يد بلك بن بهرام في أواخر أبريل ١١٢٣ م / أواخر صفر ٥١٧ هـ ، راجع : ابن القلائس: المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ، وأيضاً :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 246;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 538.

(٤) ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ — ٢١٠ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٦١٣ ؛ ابن العديم : المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢١٣ ، وأيضاً :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 248;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 543.

(٥) عن تلك الغارات راجع : ابن القلائس : المصدر السابق ص ٢١١ — ٢١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٣ — ٢١٦ ، وأيضاً

في تلك الغارات نائبه جفرى ، ولقد دفعت تلك الغارات القوات الإسلامية بقيادة بلك بن بهرام للتصدي لجوسلين ونائبه ، وجرى الاشتباك الأول بين الجانبين بالقرب من مدينة عزاز (١) في يناير ١١٢٤ م / ذى القعدة ٥١٧ هـ ، وانتهت المعركة بانتصار غير حاسم للصليبيين ، فتجدد الاشتباك بينهما مرة أخرى في أبريل ١١٢٤ م / صفر ٥١٨ هـ وكان النصر في تلك المعركة لصالح المسلمين ، ولما كانت المعركتان السابقتان لم تحسبا النصر لأحد الفريقين ، فكان اللقاء الحاسم بينهما بالقرب من مدينة منبج في مايو / ربيع الأول من العام نفسه ، وفيه تمكنت قوات بلك بن بهرام من الخاق الهزيمة بالصليبيين ، وقتلت الكثير من فرسان الفرنج ، كان من بينهم جفرى حاكم مرعش (٢) .

بمقتل حاكم مرعش عام ١١٢٤ م / ٥١٨ هـ ، عادت إدارة المدينة إلى جوسلين دى كورتناى حاكم الرها وتل باشر ، وظلت مرعش تحت إدارته حتى توفى في عام ١١٣١ م / ٥٢٦ هـ ، وخلفه ابنه الصغير جوسلين الثاني (٣) ، في وقت بدأت فيه اليقظة العربية الإسلامية — التي كان من بين روادها الأول مودور واقنقر — تقوى وتمرد على يد عماد الدين زنكى حاكم الموصل وحلب .

بعد أن تولى جوسلين الثاني حاكم امارة الرها عام ١١٣١ / ٥٢٦ هـ ، قام بتعيين أحد قادة الفرسان — الذين عملوا في خدمة أبيه — ويدهى بلدوين

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 248 - 249;

William of Tyre, op. cit., Vol. I, p. 542;

(١) عزاز : بلدة تقع في شمال حلب ، طيبة الموضع ، غنية الماء ، صحيحة التربة ، راجع : الخفاندى . المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٣٧ .

(٢) عن تلك المعارك راجع : ابن الفلاس : المصدر السابق ، ص ٢١٢ - ٢١٣ إلى الأخير : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦١٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ — ٢١٠ ، وأيضاً :

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 248;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 16.

Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 232;

(٣)

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 52 - 53.

حاكماً على مرعش وكيسوم^(١) في وقت فيه كفة الميزان في الصراع الصليبي الإسلامي تميل لصالح المسلمين ، وصار هدف الصليبيين على حد قول المؤرخ ابن الأثير : « حفظ ما بأيديهم بعد أن كانوا قد طمعوا في ملك الجميع »^(٢) ، وقد انعكس هذا التغير على امارة الرها ، إذ بدأت تواجه الضربات من قبل المسلمين والأرمن . قفى عام ١١٣٥ / ٥٢٩ هـ قام الأمير الأرمني ليو الأول Leo I بالتحالف مع أمير الداناشمند محمد الثاني ابن غازي ، وهاجم قلعة سرفتيكار^(٣) ، الخاضعة لنفوذ بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ، ونجح ليو في الاستيلاء على القلعة دون أن يتحرك بلدوين للدفاع عنها^(٤) ، وفي عام ١١٣٦ م / ٥٣٠ هـ قام الأفشين التركي — قائد سيف الدين سوار نائب عماد الدين زنكي في حلب — بشن الغارات على المناطق القريبة من مرعش وكيسوم ، وعجز بلدوين عن مدافعتهم^(٥) ، ولم يكتف حاكم مرعش وكيسوم بأنه عجز عن حماية المناطق الخاضعة له ، وإنما أقحم نفسه في الخلف الذي قام بين ريموند الثاني أمير أنطاكية (١١٣٦ — ١١٤٩ م / ٥٣٠ — ٥٤٤ هـ) وبين ليو الأرمني ، إذ شارك أمير أنطاكية في حملته عام ١١٣٦ م / ٥٣٠ هـ ضد ليو الأرمني ، ولكن إنتهت تلك الحملة بنجاح ليو في التصدي لها وتحقيق الانتصار عليها بفضل مؤازرة ابن أخته جوسلين الثاني الذي ناشد الطرفين إلى نيل الحروب ، وعقد المفاوضات ، فوافق ليو على أن يجتمع بلدوين حاكم مرعش ، ولكن الأخير غدر بالأمير الأرمني ، وقبض عليه ، وأرسله أسيراً إلى

Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 230 - 121;

(١)

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 158.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٠ ، ص ٦٦٣ .

(٣) سرفتيكار : قلعة حصينة في بلاد الأرمن ، تقع بالقرب من الو الجنوبي لنهر جيحان ، وعلى بعد أربعة أميال من تل حندان ، راجع : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج ١٤ ، القاهرة ١٩١٣ — ١٩١٣ م ، ج ٤ ، ص ١٢٤ .

Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 231 - 233.

(٤)

(٥) ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ ، وأيضاً :

Michael the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 244.

أنطاكية^(١) . والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا سمح جوسلين الثاني لنائبه في حكم مرعش وكيوم أن يتبع سياسة مخالفة لميوليه ، ويعادى خاله الأمير الأرمني ؟ وعند الاجابة على هذا التساؤل يجب أن نوضح أن جوسلين الثاني كان يتولى اماره الرها باعتباره نائبا عن الملك الصليبي فولك Fulk (١١٣١ - ١١٤٤ م / ٥٢٦ - ٥٣٩ هـ) الذي كان راضيا عن تلك الحملة الموجهة ضد ليو الأرمني ، ولم يكن بوسع جوسلين الثاني أن يخالف رغبات الملك الصليبي^(٢) .

على أية حال ، نتيجة لغدر بلديين حاكم مرعش بالأمير الأرمني قام الأمير محمد الثاني بن غازي بشن الغارات على المناطق المحيطة بمرعش وكيوم ، وعات فيها فساداً وتدميراً^(٣) .

بدأ الصليبيون يشعرون بخطورة الهجمات الاسلامية على الممالك اللاتينية ومحاولات عماد الدين زنكي توحيد الجبهة الاسلامية ، وفي الوقت نفسه يشعرون بخطورة محاولات الامبراطور البيزنطي حنا كومنيني John Comnenus (١١١٨ - ١١٤٣ م / ٥١٢ - ٥٣٨ هـ) لاستعادة أنطاكية من الصليبيين . لذا استقر رأيهم على نيل الخلف مع الإمبراطورية البيزنطية وارضاء الامبراطور البيزنطي - مؤقتا - وإلتفاق على التعاون معا ضد المسلمين . فتوجه الأمير ريموند إلى معسكر الامبراطور البيزنطي أمام أنطاكية ، وبذل له بيمين الطاعة والولاء ، واتفقا على تنسيق التعاون ضد المسلمين ، فاكتمل الامبراطور حنا برفع العلم البيزنطي على قلعة أنطاكية^(٤) وتوجه إلى قيلقية في سبتمبر ١١٣٧ م /

(١) Gregory the Priest, Continuation of Matthew of Edessa's Chronicle, in R.H.C. Doc. (١) Arm., Vol. I, p. 152

(٢) William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 201.

(٣) Gregory the Priest, op. cit., p. 152.

(٤) ابن الغلاسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥١ - ٥٢ . ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ - أيضا : =

ذى الحجة ٥٣١ هـ حيث قدم إليه بلدوين حاكم مرعش وكيسوم ، وبذل له
يمين الولاء والتبعية ، واتمس الحماية منه ضد هجمات المسلمين^(١)

بدأ الحلفاء الصليبيين والبيزنطيين في مهاجمة المدن الاسلامية في شمال
الشام ، وقد شارك حاكم مرعش وكيسوم القوات البيزنطية في الاستيلاء على
مدينة البلاط^(٢) في يوم الخميس الحادى من أبريل ١١٣٨م / الثامن عشر من
رجب ٥٣٢ هـ ، كما شارك بلدوين الحلفاء في الاستيلاء على مدينة يزاعه^(٣) ،
والأنارب^(٤) ، ومعرة النعمان^(٥) ، وكفر طاب^(٦) ، وأيضا في حصار مدينة
شيزر^(٧) ، وأمام مناعة شيزر من جهة وما قام به عماد الدين زنكى من

Micheal The Syrian, op. cit., Vol. III, p. 245;

Gregory the Priest, op. cit., p. 153;

Cinnamus; J., Epitom Historiarum, in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae,
Bonn, 1836, pp. 18 - 19.

Nicetas Cohniates, Historia, in Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1835,
pp. 37 - 38;

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 93.

Micheal the Syrian, op. cit. vol. III, p. 245; Gregory the Priest, op. cit. p. 153. (١)

(٢) البلاط : مدينة في شمال الشام تقع بين مدينتي مرعش وأنطاكية ، راجع البغدادي : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) يزاعه : بلدة من أعمال حلب في وادي بطنان ، تقع بين منبج وحلب ، وفيها حيون جلوية : راجع
بأقوت الحسرى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ؛ البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ،
ص ١٩٢ .

(٤) الأنارب : قلعة في شمال الشام ، تقع بالقرب من مدينة حلب ، وعل بعد ثلاثة فراسخ منها .
راجع : البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٥) معرة النعمان : مدينة كبيرة تنسب إلى النعمان بن بشير الصحابي ، تقع بين حلب وحماة . راجع :
البغدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨٨ .

(٦) كفر طاب : بلدة في شمال الشام ، تقع بين معرة النعمان وحلب . راجع : البغدادي : المصدر
السابق ، ج ٣ ، ص ١١٧٠ .

(٧) عن هذا الهجوم راجع : ابن القلائسي في المصدر السابق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ؛ أسامة بن منقذ :
المصدر السابق : ص ١٣١ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ؛
ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٨ - ٦٢٩ ؛ أيضا : هـ

ترهيب الحلفاء ، والتفرقة والتعور بين البيزنطيين وبين الصليبيين (١) من جهة أخرى ، نتيجة لكل ذلك تقاعس جوسلين الثاني حاكم الرها ، ونائبه بندوين حاكم مرعش عن مشاركة الإمبراطور البيزنطي في الهجوم على شيزر (٢) ، مما كان له أثر كبير في تفكك الحلف الصليبي البيزنطي من جهة ، وتقوية الجبهة الاسلامية من جهة أخرى ، وتوجيه المسلمين لمزيد من الضربات للصليبيين من جهة ثالثة .

بدأت الوحدة الاسلامية تؤقأكلها ، ونجح عماد الدين زنكى من استرداد الرها في جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ / ديسمبر ١١٤٤ م ، وبذلك كانت الرها (٣) أولى الامارات الصليبية التي استعادها المسلمون ، وفي الوقت نفسه كانت أولى الامارات اللاتينية التي أقامها الصليبيون في منطقة الشرق الأدنى الاسلامى .

أخذ جوسلين الثاني ونائبه بندوين يتحيان الفرصة المناسبة لاستعادة الرها ، وقد جاءهما ما ينتظران بعد مقتل عماد الدين زنكى في ربيع الآخر ٥٤١ هـ /

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 93 - 94;

Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, p. 243;

Cinnamus, op. cit., pp. 18 - 20;

Nicetas op. cit., pp. 37 - 40.

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 95.

(٢)

(٣) لمزيد من التفاصيل من فتح الرها . راجع : ابن القلائس ؛ المصدر السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٩٨ - ٩٩ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ،

٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ ابن واصل : مغزج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٣ ، تحقيق د. جمان الدين

الشيال ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠ ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ ؛ وأيضاً :

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 140 - 143;

Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 259 - 263;

Odo of Deuil, De Profection Ludovico VII Orientem, New York, 1948, pp. 7 - 9 ;

Roger of Wendover, The Flowers of History, 2 Vol., London 1888, Vol. I, pp.

498 - 502.

سبتمبر ١١٤٦ م^(١) فشرعاً بأن مسرح الأحداث قد خلا من تلك الشخصية الإسلامية التي جعلت الأخطار تهيئ لهما من كل صوب ، ولم يكونا يعلمان بأن عماد الدين قد خلف من بعده أبناء ، وعلى رأسهم نور الدين محمود ، لا يقلون كفاءة ومقدرة وحكمة عن أبيهم .

توجه جوسلين الثاني ومعه نائبه بلدوين بقواتهما إلى الرها في أكتوبر ١١٤٦ م / جمادى الآخرة ٥٤١ هـ ، واتصلا بالأرمن داخل المدينة ، فسهلوا لها دخولها على حين غفلة من حمايتها السلجوقية القليلة ، والتي كان عماد الدين قد تركها لحمايتها ، فاعتصمت الحامية بقلعة الرها ، وعجز كل من جوسلين وبلدوين عن الاستيلاء على القلعة ، وما أن علم نور الدين محمود بأبناء دخول الصليبيين الرها ، حتى أسرع بقواته وحاصر الصليبيين بداخلها ، فشرع جوسلين ومعه نائبه بمرج الموقف ، وصمما على اختراق الحصار والفرار من المدينة ، ونجح جوسلين وبعض قواته في الفرار بعد ما أصيب في رقبته ، بينما قتل بلدوين حاكم مرعش^(٢) .

لم ينجح جوسلين الثاني من محاولته لاستعادة الرها سوى مزيد من الضعف لإمارته المنهارة ، إذ فقد كثيرا من فرسانه ، وقتل حاكم مرعش لذلك قام بتعيين صهره رينولد Renaud خلفا لبلدوين في حكم المدينة ، وقد نجح رينولد في أن

(١) عن مقتل عماد الدين ركني راجع : ابن القلائس : المصدر السابق ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١١ - ١١٢ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٢) ابن القلائس : المصدر السابق - ص ٢٨٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١١٤ ، ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١١ ، وأيضا :

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 157-161;

Michael The Syriac, op. cit., Vol. III, pp. 270-272.

يفرض نفوذه على الأرمن^(١) في كركر^(٢) ، فجاء هذا التوسع بمثابة تهديد لنفوذ سلاجقة الروم في المنطقة ، وجلب مزيد من الأخطار لمدينة مرعش ، إذ ضاق السلطان مسعود بن قلع أرسلان (٥١٠ - ٥٥٠ هـ / ١١١٦ - ١١٥٥ م) ، بتوسعات رينولد ، وقام في عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م بمهاجمة المناطق المحيطة بمرعش وأنزل بها الدمار^(٣) ، ثم زحف في جمادى الأولى ٥٤٤ هـ / سبتمبر ١١٤٩ م بقواته على المدينة واستولى عليها لفترة قصيرة ، وما لبث أن انسحب منها عندما علم بقدم الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤ - ١١٦٢ م / ٥٢٩ - ٥٥٧ هـ) بقواته لتجديتها^(٤) .

أخذت بقايا امارة الرها المنهارة ومن بينها مدينة مرعش تنتقل يوماً بعد يوم من سىء إلى أسوأ - وأخذت القوى الإسلامية من سلاجقة وأرناؤقة بالإضافة إلى قوات نور الدين محمود ، أخذت توجه الضربات الواحدة تلو الأخرى لتلك الامارة المتداعية . فلم يكف رينولد حاكم مرعش بتوسعاته التي جلبت على مدينته الخراب من قبل سلاجقة الروم ، إنما خرج بقواته لمساندة الأمير ريموند حاكم أنطاكية في مواجهة قوات نور الدين محمود التي بدأت في حصار قلعة أنب^(٥) ، وجرت المعركة بينهما في صباح يوم ٢٩ يونيو ١١٤٩ م / ٢١ صفر ٥٤٤ هـ ، وانتهت بانتصار حاسم للمسلمين ، وقتل الكثير من فرسان

William of Tyre. op. cit., Vol. II, p. 53;

(١)

Michael the Syrian. op. cit., Vol. III, pp. 209-210;

Gregory the Priest, op. cit., p. 162.

(٢) كركر - حصن يقع في غلبية بالقرب من مدينتي ملطية وأمد . راجع : البغدادي : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٥٨ .

Michael the Syrian. op. cit., Vol. III, p. 210.

(٣)

William of Tyre. op. cit., Vol. II, p. 200.

(٤)

(٥) أنب . حصن في شمال الشام من أعمال حر . ويقع بالقرب من حلب . راجع البغدادي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٠ .

الصليين كان من بينهم الأمير ريموند ، ومعه رينولد حاكم مرعش
وكرر (١) .

أما الأرائقة فكان لهم هم الآخرين نصيبا من تلك الفريسة الممزقة ، إذ قام
قره أرسلان الأرتقى — صاحب حصني كيفا وخرنبرت — بالاستيلاء على
منطقة كركر عام ١١٤٩م / ٥٤٤هـ ، فكان ذلك مدعاة لسرور المسيحيين
اليعاقة في المنطقة الذين فضلوا حكم قره أرسلان عن حكم رينولد بما اتسم به
من محاباة للارمن واضطهاد لليعاقة (٢) .

انتهت مرحلة الانهيار لامارة الرها اللاتينية بوقوع حوسلين الثاني أسيراً في
قبضة نور الدين عمود عام ١١٥٠م / ٥٤٥هـ (٣) ، واقتسام نور الدين ووالده
زوجته السلطان مسعود بن قلع أرسلان بقايا تلك الامارة ، إذ أصبحت
مرعش تابعة لسلاجقة الروم (٤) .

ظلت مدينة مرعش سلاجقة الروم في قونه . وفي عهد قلع أرسلان ابن
مسعود (٥٥١ — ٥٨٤هـ / ١١٥٦ — ١١٨٨م) تعرضت مراعى الابل
والماشية القريبة من المدينة عام ١١٦٠م / ٥٥٥هـ لهجوم من قبل رينو دي

(١) ابن الفلاس : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٤ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ، أبو شامة : الروضتين في
أحداث العربتين النورية والصلاجية ، ج ١ ، ص ١٢٨٧ — ١٢٨٨ هـ ، ج ١ ، ص ٥٨
ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٠ — ١٦١ وأيضاً :
William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 196 - 198.

Gregory the Priest, op. cit., p. 162; (٢)
Micheal the Syrian, op. cit., Vol. III, pp. 210 - 211.

(٣) ابن الفلاس : المصدر السابق ، ص ٣١٠ ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٥٤ —
١٥٥ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ وأيضاً :
William of Tyre, op. cit., Vol. II, p. 201.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٣٩٦ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

شابتون Renaud de Chatillon حاكم أنطاكية آنذاك (١١٥٣ - ١١٦٠م / ٥٤٨ - ٥٥٥ هـ) والمعروف في المصادر العربية باسم أرناط ، إذ أستول على الكثير من تلك القطعان وعاد إلى أنطاكية. متجنباً مواجهة قوات نور الدين محمود (١).

وعندما ساءت العلاقات بين نور الدين وبين قلعج أرسلان بن مسعود بسبب تقاعس الأخير عن مشاركة نور الدين في الجهاد ضد الصليبيين والبيزنطيين ، وبسبب اعتدائه على أملاك أمير الدانشمند ذي النون في ملطية ، واستنجاد الأخير بنور الدين محمود ، عندئذ ، أرسل نور الدين إلى قلعج أرسلان بطلبه يرد ما أخذه من أملاك الدانشمند ، ولما رفض الأخير ذلك ، زحف نور الدين بقواته في عام ٥٦٨ هـ / ١١٧٢م ، فملك مرعش في ذي القعدة / أغسطس من العام نفسه ، وأعاد كيسوم إلى آل الدانشمند (٢).

بامتلاك نور الدين لمرعش ، تنضم المدينة إلى الجبهة الإسلامية التي وحدها نور الدين ، وأكدها من بعده صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية وكانت تلك الجبهة الموحدة هي الركيزة التي انطلقت منها الجيوش الإسلامية لتحقيق النصر على الصليبيين في موقعة حطين عام ١١٧٧م / ٥٨٣ هـ ، والتي أثمرت بعودة معظم المدن والقلاع الإسلامية إلى أصحابها .

أما عن دور المدينة في القرن الثالث عشر الميلادي / القرن السابع الهجري فهو محدود ، إذ عادت المدينة إلى حكم مملكة الروم ، وانتمت لها السلطان عز الدين كيكافوس (٦٠٦ - ٦١٦ هـ / ١٢١٠ - ١٢١٩م) كقاعدة لشن الهجمات على الملك الأرمني ليو الثاني (٣) Leo II (١١٨٧ - ١٢١٩م / ٥٨٣ - ٦١٦ هـ) وظلت المدينة هدفاً للهجمات بين السلاجقة والأرمن إلى

William of Tyre, op. cit., Vol. II, pp. 283 - 284;

(١)

Gregory the Priest, op. cit., p. 198.

(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٩١ ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ٢ ،

ص ٣٣٨ ، ابن واصل : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

أن استعادها السلطان المملوكي الأشرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٢ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م) في آخريات عهده عام ١٢٩٣ م / ٦٩٢ هـ.^(١)

ويتضح من العرض السابق أن موقع مدينة مرعش من منطقة الثغور جعلها هدفا للاغارات البيزنطية منذ القرن السابع الميلادي / القرن الأول الهجري حتى القرن العاشر الميلادي / القرن الرابع الهجري ، وأن المدينة كانت محط عناية السلطات الاسلامية سواء أكانت أموية أم عباسية ، وعندما سيطر عليها البيزنطيون في القرن العاشر الميلادي / القرن الرابع الهجري أصبحت المدينة مركزا لدولة أرمنية ناشئة ، سرعان ماتعرضت للفتك والانقسام ، وتوارثها بعض قادة الأرمن ، الذين مهدوا الطريق للصليبيين على مشارف الشام .

وبعدما سيطر الصليبيون على مرعش ، بدأ دور المدينة يتضح في الصراع الإسلامي الصليبي ، إذ أمدت القادة الصليبيين بالرجال ، وشارك حكامها في العديد من المعارك التي دارت رحاها في الشام . كما بسط حكامها نفوذهم على المناطق الأرمنية في كيسوم وكرزكر - وشاركوا في الهجوم البيزنطي الصليبي على المدن الاسلامية ، واستمر هذا الدور قويا فعلا إلى أن بدأت اليقظة العربية الاسلامية ، وجاء توحيد الجبهة الاسلامية على يد عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود اللذين وجها العديد من الضربات للمدينة ، فبدأت في طريقها السريع نحو الضعف والانهار إلى أن استردها نور الدين في عام ١١٧٢ م / ٥٦٨ هـ .

والله ولي التوفيق ،،،

(١) : ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٤ ج ، بيروت ١٩٧٤ م ، ج ١٣ ، ص ٢٢٢ .